المبحث السادس عشر

نقاء المرأة المسلمة

نقاء المرأة المسلمة

بسم الله الرحمن الرحيم، عز كل ذليل، وغنى كل فقير، ومنقذ كل ملهوف، اللهم إنا أمسينا نشهدك ونشهد حملة عرش وملائكتك، وجميع خلقك أنك أنت الله لا إله إلا أنت، وحدك لا شريك لك، لك الملك ولك الحمد وأنت على كل شيء قدير.

اللهم إنا أمسينا منك في نعمة وعافية وستر؛ فأتم علينا نعمتك، وعافيتك، وسترك يا رب العالمين، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ [لقمان: ٢٠].

أي: ألم تروا أيها الناس أن الله ذلَّل لكم ما في السماوات من الشمس، والقمر والسحاب وغير ذلك، وما في الأرض من الدوابِّ والشجر والماء، وغير ذلك مما لا يحصى، وعمَّكم بنعمه الظاهرة على الأبدان والجوارح، والباطنة في العقول والقلوب، وما ادَّخره لكم مما لا تعلمونه؟ ومن الناس مَن يجادل في توحيد الله، وإخلاص العبادة له بغير حجة ولا بيان، ولا كتاب مبين يبيِّن حَقيقة دعواه.

كيف نجادل في آياتك يا ربنا، وقد ملأت الكون نورًا، وملأت عبادك استبشارًا بنصرك وتأيدًا بفتحك .

المسلمون يعيشون في خيرات كثيرة من الله ﷻ، وتأتي لهم بركات أعظم وأكبر في رمضان، فقال تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ١٢٠].

أي: ونقصُّ عليك أيها النبي من أخبار الرسل الذين كانوا قبلك، كل ما تحتاج إليه مما يقوِّى قلبك للقيام بأعباء الرسالة، وقد جاءك في هذه السورة، وما اشتملت عليه من أخبار، بيان الحق الذي أنت عليه، وجاءك فيها موعظة ليرتدع بها الكافرون، وذكرى يتذكر بها المؤمنون بالله ورسله.

إن الله بصير بالعباد، إن الله محيط بأعمال العباد، إن الله تعالى محيط بقلوب العباد، يعلم السر وأخفى، والصلاة والسلام على البشير النذير، السراج المنير كما في قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب:٢١].

اللهم اجعلنا من الذاكرين الله كثيرًا، اللهم رطب ألسنتنا بذكرك، وطَهِّر قلوبنا من النفاق، ومن الرياء، ومن الحقد، ومن الغل، ومن الخيانة، اللهم طهرنا ونورنا، وأسعدنا، وارفعنا فى الأولين، وبارك لنا في الأولين، وفي الآخرين يارب العالمين .

وقل: الحمد لله الذي لم يتخذ ولدًا.. هل قلت الحمد لله؟ هذه أوامر، وقل: الحمد لله، تقول: الحمد لله، وقل: الحمد لله الذي لم يتخذ ولدًا، ولم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له وليٌّ من الذل، وكبره تكبيرًا. هل كبرت؟ هل قلت: الله أكبر؟ نعم الله أكبر، هذه رحلتنا الإيمانية بين النقاء والبقاء .

اللهم علِّمنا علمًا ينفعنا، وانفعنا اللهم بما علمتنا، واكتب لنا الحسنى وزيادة، واجعلنا يا ربنا من أهل الزيادة، وصلنا إلى طهارة الظاهر وطهارة الباطن، ولا زلنا نؤكد على طهارة المرأة المسلمة، وعلى حجاب المرأة المسلمة، وما تكلمنا عنه في تكليف النساء فى سورة الأحزاب بقوله تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وقد ذكرنا من قبل أن الطهارة هنا مرتبطة بقوله تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾.

إن طهارة المرأة المسلمة فى عفتها، وفي حشمتها وفي وقارها، وفي حجابها، وفي خمارها، أو نقابها؛ ولذلك فإن المولى ﷻ قدم الحجاب على الصلاة،

وعلى الزكاة، وعلى طاعة الله تعالى ورسوله العظيم ﷺ، ثم ربط هذا كله بقوله تعالى: ﴿ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾.

هكذا تطهر المرأة المسلمة، وتنقى المرأة المسلمة، ومن سلك طريق الإيمان، واعتز بالإسلام، وهَدِيَ إلى طريق الإيمان؛ فإنه إذا عاد عن هذا الطريق كالتي كانت ترتدي الحجاب ثم تكشف رأسها، شعرها، وتعود إلى الجاهلية الأولى، فهذا أمر خطير جدًّا .

فهذا هو السلب بعد العطاء، إن الله تعالى يعطي المرأة المسلمة نورًا، وحجابًا ووقارًا، وعفة، وشرفًا، وكرمًا، ويصونها المولى ﷻ، ثم هي تنفض كل هذا عن نفسها وتعود إلى جاهليتها الأولى، وربما ذكرنا أيضًا أن الله عندما قال: الجاهلية الأولى، أي: يوجد جاهلية ثانية، وثالثة، وتشتد هذه الجاهليات؛ أي الأحوال الجاهلية حتى تقوم الساعة على أشر الناس، فاللهم قنا عذابك يوم تبعث عبادك.

وبعض الأخوات لا يحافظن على الحجاب وتقول: أنا أصلى، أنا أزكى، أنا أخاف ربنا، وتقول: "أنا أحسن من غيري"، كالتي تقول: أنا محجبة، ولكن فى حالى، ولا أؤذى أحدًا، وأنا حالتي الإيمانية جيدة، نقول لها: إن الذى رتب والذى ربط هو الله ﷻ ، هذا أمر ليس اختيارًا، إن الشخص يختار المرأة المسلمة تقول: أتحجب أو لا، هذا أمر، وربنا ﷻ قبل أن يقول لها: صلِّ قبل أن يأمرها بالصلاة أمرها بالحجاب .

وعلى هذا فإن الإسلام عبارة عن قطعة من النور، فعلى المرأة المسلمة إما أن تأخذ هذه القطعة، وتنتفع بنورها وضيائها، وجمالها، وظلالها، وإما أن تكون في حاجة لأن تراجع قلبها، وأن تقوى نفسها وبصيرتها إلى الله ﷻ، والذين يعيشون الإيمان يعلمون أن الله ﷻ يحافظ على المرأة المسلمة، وفي الوقت نفسه فإنه يحافظ على جوارح المرأة، ويحافظ على جوارح الرجل أيضًا،

وهذا ما تحدثنا عنه في قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور:٣٠].

هذه هي الطهارة، فإذا كان الحجاب طهارة ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، وإذا كان حشمة المرأة، وتحجبها طهارة حقيقية، فهذا أمر لا خلاف عليه، فما بالك بأن هناك طهارة أخرى ندركها من قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور:٣٠].

إن منتهى الطهارة هي غض بصره عما حرم الله تعالى، حتى يبدلها الله تعالى بحلاوة إيمان يجدها المؤمن في قلبه، وبالتالي فإن الذين يطلقون أبصارهم، ويتلقفون النساء في الشوارع، أو يتلقفون صور النساء في المجلات، أو يتلقفون صور النساء في المسلسلات، وفي الأفلام .... إلخ، مؤكد أنه ضيَّع نفسه؛ لأن القدير قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ...﴾ [النور:٣٠].

ورب نظرة تورث حسرة أي: نظرة تورث حسرة، ورب نظرة تورث إيمانًا مثل النظر في وجوه الصالحين، فإنها تزيد الإنسان إيمانًا، وأما النظر فيما حرم الله تعالى فإنه يورث حسرة وأسى لا تنزع من الإنسان إلا عند الموت، أي: كالذي يتعلق بامرأة ولم يكن له سبيل للوصول إليها، والمسلم يستطيع أن يَتجنب هذه السهام الشيطانية، ما جاء لك الحرام إلا بعينيك؛ لأن الملك حذرك من هذا، فقال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور:٣٠].

ذلك أزكى، أي: ذلك أطهر لهم، أي الذي يحافظ على بصره، ونحن نركز في هذا الموضوع الليلة، ربما للمرة الرابعة؛ لكثرة ما نرى من انحراف الشباب والشابات والذي يرجع إلى انفلات البصر؛ لأن البصر لا حدود له.

والإنسان لا يلقي بنفسه إلى مواطن الشك، ولا إلى مواطن التهم التي يمكن أن يعاقب إذا جلس في هذه الأماكن التي تشيع فيها الفاحشة.

كمن يقول: عندي عمل في فندق، والعمل يُحتِّم عليَّ أن أذهب فأرى نساء متبرجات، وأجلس فى طعام العشاء معهن وكذا وكذا، يا أخي أي رزق يأتي بالمعصية لا قيمة له، وهذا يقول: أنا أقابل وفودًا سياحية، والعمل يحتِّم عليَّ أن أجلس معهم فى كذا وكذا، ويقدم لهم الخمر، لأنهم ليسوا مسلمين وليسوا عربًا فيقدم لهم الخمر؛ فأنت الذي دعوتهم إلى بلادنا، وتجلس، وهم يشربون الخمر أمامك، وأنت موافق على هذا، لأجل ماذا لأجل دنيا، لأجل شركة، لأجل مصنع، لأجل تجارة، كما جاء في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾[ص:٢٤].

أي: قال داود: لقد ظلمك أخوك بسؤاله ضم نعجتك إلى نعاجه، وإن كثيرًا من الشركاء ليعتدي بعضهم على بعض، ويظلمه بأخذ حقه وعدم إنصافه مِن نفسه إلا المؤمنين الصالحين، فلا يبغي بعضهم على بعض، وهم قليل، وأيقن داود عليه السلام أنَّما فتنَّاه بهذه الخصومة، فاستغفر ربه، وسجد تقربًا لله، ورجع إليه وتاب.

اللهم اجعلنا من القليل، فمن أحسن فى ليله وُفِّقَ في نهاره، من أحسن في ليله أي، إذا أقام الليل، ولم يقع في معصية حتى لو صلى العشاء في جماعة، والفجر في جماعة فإنه يعد قيام له، ولم يقع فى معصية؛ يكون قد أحسن في هذه الليلة، لم يذنب، ولم يغضب الجبار القهار.

فمن أحسن في ليله؛ كوفئ في نهاره، ترى في وجهه نورًا، وترى في صدره شرحًا وإذا رأيته ذكرك بالله، من أحسن في ليله كوفئ في نهاره، ومن أحسن في نهاره كوفئ في ليله، أي أحسن في نهاره، أي لم يأكل حرامًا ولم تمتد عيناه، ولا يداه، ولا رجلاه، ولا أذناه إلى حرام، فعندما يأتي عليه الليل، فيكتب في هذه

الليلة من المستغفرين بالأسحار، ويرى فى صدره انشراحًا عجيبًا لا مثيل له، لماذا؟ لأنه أحسن في نهاره كمن أدخل السرور على مسلم؛ فإنه يجد شرح في صدره.

اللهم أصلح قلوبنا، وأزل عيوبنا، وتولنا بالحسنى،
وزينا بالتقوى، واجمع لنا خير الآخرة والأولى،
وارزقنا طاعتك ما أبقيتنا.
اللهم ويسرنا لليسرى وجنبنا العسرى.

اللهم صلِّ على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه، وأولاده
وأزواجه وذُرِّيَّتِهِ يا أرحم الراحمين.

اللهم صلِّ على سيدنا محمد، أشرف الساجدين، وأكمل العابدين، وإمام الشاكرين، وسيد الحامدين، وأجمل المتواضعين، وأكرم خلق الله أجمعين، وعلى آله وصحبه وسلم سلامًا كثيرا، اللهم صلِّ على سيدنا محمد، حامي الإسلام والمسلمين، الصادق الصدوق الأمين، المدثر المزمل، اللهم اجعل صلاتنا على النبي وآله في دنيانا من أسباب رحمتنا، وفي كل الشدائد من دواعي فرحنا ونصرتنا، وفي كل ما أرجوه من فضلك وإحسانك عوني وعدتي، اللهم اجعل صلاتنا على هذا النبي الكريم وافرة، ومحبتنا له باطنة وظاهرة، وأشواقنا إليه صادقة ومعبرة.

****